

The Paradox in the Poetry of Abdul Wahab Ismael

Lecturer . Ali Ghanm Abdul Kareem
General Directorate of Nineveh Education
E-mail: Aligh85@gmail.com

Abstract:

The paradox represents the dialectic of dualism , asit is ridiculous with its tragedy , crying with its cynicism and it is a creative philophysical view of life , which made it a concept that wore over time different faces.

Its con tradictior allows escape from the direct method to tranparent ambignity .

The research attempts to study the manifestations of paradox in the diwan (Must – Must)of the mosulian poet Abd AI_ Wahhab Ismail in order to reveal the contents of that paradox and its types and how the poet was able to use this tecnigue in the structnrne of his poem to expose the tragedy experienced by the creator under the circumstances

The research attemped to track the paradox available in the court without restricting the text to aspecific approaeh , but rather made its analysis of the paradox begin the text ending in it

Key words: Modern literature Abdul wahab ismaeel Irony Iraqi poetry

Sarcasm

تجليات المفارقة في ديوان عبد الوهاب اسماعيل

م. علي غانم عبد الكريم الحياي

المديرة العامة لتربية نينوى

E-mail: Aligh85@gmail.com

المخلص :

تمثل المفارقة جدلية الازدواج فهي مضحكة بمأساتها مبكية بسخريتها وهي نظرية فلسفية ابداعية للحياة وهذا ما جعل منها مفهوم ارتدى عبر الزمن وجوها مختلفة فتناقضها يتيح الهروب من الاسلوب المباشر الى الغموض الشفاف ،

ويحاول البحث دراسة تجليات المفارقة في ديوان (لابد من لابد) للشاعر عبد الوهاب اسماعيل بغية الكشف عن مضامين تلك المفارقة وانواعها وكيف استطاع الشاعر توظيف هذه التقنية في بنية قصيدته لفضح المأساة التي يعيشها المبدع في ظل هذه الظروف ، وقد حاول البحث تتبع انواع المفارقة المتوفرة في الديوان من دون ان يقسر النص على توجه معين بل جعل تحليله للمفارقة يبتدىء من النص منتها فيه .

الكلمات المفتاحية: الادب الحديث، عبد الوهاب اسماعيل ، المفارقة ، الشعر العراقي ، السخرية المرة

توطئة:

ورد في لسان العرب ان (التفريق للأبدان والافتراق في الكلام ، يقال فرقت بين الكلامين فافترقا ، وفرقت بين الرجلين فتفرقا ، وفارقت الشيء مفارقة وفاقا باينته ، وتفارق القوم ، فارق بعضهم بعضا والمفارقة اسم مفعول من فارق، وفارق زوجته باينها ، والفرقان القران هو كل فرق بين الحق والباطل)^(١) من هنا يتضح لنا ان المفارقة في اصلها اللغوي يعني تفرق اللفظ الواحد على معان متعددة .

والمفارقة من المصطلحات التي كثر الحديث عنها وهي مرتبطة بالحياة وممتدة الى العصور القديمة فالحياة كلها مبنية على مجموعة من المفارقات ، ولعل من اول ما وصلنا عن المفارقة مفهومها الفلسفي عند اليونان والرومان وبخاصة اراء افلاطون وسقراط وارسطو ويرى دي سي ميويك ان الكلمة وردت لأول مرة في جمهورية افلاطون وان سقراط كان يطلقها على احد الذين يهاجمهم من ضحاياه^(٢) .

لا نريد الاطالة في تطور مفهوم المفارقة وتبينانه في الفكر الغربي لكننا نقف عند تعريف معجم اكسفورد للمفارقة بانها (ان يعبر المرء عن معناه بلغة توحى بما يناقض المعنى او يخالفه ولا سيما ان يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر الاخر ، فقد يستخدم لهجة تدل على المدح ولكن يقصد السخرية والتهكم وامام حدث او ظرف مرغوب فيه ،ولكن غير مناسب البته...هي استعمال اللغة بطريقة تحمل معنى باطنا موجها لجمهور خاص مميز ، ومعنى اخر ظاهرا موجها خاص للمخاطبين او المعنيين بالقول)^(٣) وهذا يناقض بين المعنى المباشر والمعنى غير المباشر ، وعدها قسم من النقاد لغة الفكر والعقل كونها تحقق اعلى درجات الشد الذهني والتوتر للمتلقى لحظة تناوله النص ، ليصل من طريقها الى الحقيقة ولذة الادراك والدهشة التي يسعى الى خلقها المبدع في النص ولا يتحقق ذلك الا عن طريق المفارقة^(٤) .

يرى ماكس بيريوم ان المفارقة هي صيغة (لانتاج ابلغ الاثر باقل الوسائل اسرافا) ويقصد بذلك التأثير الكبير للمفارقة في الملتقى التي تجعل منه خاضعا لفكرة المرسل بدون اكنار من الكلام بل باستعمال اقل الكلمات التي تدخل في النص بغية الاقناع .

لم يعرف العرب مصطلح المفارقة في كتاباتهم لكنه ورد تطبيقا في مصطلحات عديدة كالتهمك والسخرية والتضاد والمدح بما يشبه الذم ويشير د. خالد سليمان ان تتبع مصطلح المفارقة في مصادر الادب العربي القديم فلم يجدها لكن وجد دلالتها وتطبيقاتها^(٥) . ويقصد بذلك ان العرب لم يذكروا هذه اللفظة باسمها لكنها وردت لديهم في كلامهم بالتطبيق وليس باللفظ وذلك في الكثير من النصوص ، بل ان القران الكريم ذاته حفل بالعديد من مفارقات التهكم والسخرية .

رأى العديد من الدارسين ان المفارقة في النقد العربي الحديث جاءت متأثرة بالنقد الغربي وبخاصة بعد الترجمات من الاداب العالمية فاذا تتبعنا تلك التعريفات وجدنا جلها مستمدة من تعريفات الغربيين ذاتها .

تعرف نبيلة ابراهيم المفارقة بانها (لعبة لغوية ماهرة بين طرفين : صانع المفارقة وقارئها ، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستشير القارئ وتدعوه الى رفض المعنى الحرفي ، وذلك لصالح المعنى الحقيقي ، الذي غالبا ما يكون المعنى الضد وهو في اثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض ، بحيث لا يهدأ بال القارئ الا بعد ان يصل الى المعنى الذي يرتضيه)^(٦).

ترى سيزا قاسم ان المفارقة (استيراتيجية قول نقدي ساخر ، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني، ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية ، والمفارقة طريقة لخداع الرقابة ، حيث انها شكل من الاشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة)^(٧)

يرى د. قيس الخفاجي ان المفارقة (بنية تعبيرية وتصويرية ، متنوعة التجليات ومتميزة العدول على المستويات الايقاعية والدلالية والتركيبية ، تستعمل بوصفها اسلوبا تقنيا ووسيلة لمنح المتلقي التلذذ الادبي ولتعميق حسه الشعري ، بواسطة الكشف عن العلاقات عن العلاقات التضاد غير المعهودة بين المرجعية المشتركة الحاضرة او الغائبة ، والرؤية الخاصة المبدعة)^(٨)

سيحاول البحث الوقوف عند جماليات المفارقة في ديوان (لا بد من لا بد) للشاعر عبدالوهاب اسماعيل المولود عام ١٩٤٥ في الموصل والذي اكمل دراسته وعمل معلما في الموصل منذ عام ١٩٦٥- ١٩٧٥ ، ثم نقل عمله الى وزارة الثقافة وادار مؤسسات ثقافية عديدة قبل ان يحصل على شهادة البكلوريوس في القانون لينتفرغ للعمل الصحفي والمحاماة ، صدر له عدة دواوين جمعها مؤخرا في مجموعة كاملة بمجلدين ضخمين وقد سمي تلك المجموعة ديوان عبد الوهاب اسماعيل ، وكتبت اكثر من رسالة جامعية عن تجربته الشعرية فضلا عن عدد من الابحاث والمقالات^(٩)

وصف الشاعر الكبير معد الجبوري صديقه عبد الوهاب اسماعيل بانه (صوت ينطوي على هدير روح تآبي التأطير والتعقيد ، يتقلت من اقفاص التقنية وبرودة التركيب الذهني بتلقائية عذبة وعفوية ، فهو ينشد البصمة الخاصة في اطار التجديد الذي الذي يتشرب الاصاله)^(١٠) والمتتبع لشعره يجده فعلا يبتعد عن التقنيات الجاهزة ويميل الى الشعرية المناسبة بعذوبة دون ان يلغي افادته من ثقافته التي اهلتها للافادة من تقانات الحداثة .

ان تجربة الشاعر عبد الوهاب اسماعيل تجربة عميقة وتحمل في داخلها توظيفا متعددًا للتقانات الحديثة للنص الشعري ولذلك فقد حظيت بالعديد من الدراسات الجادة وسيحاول بحثنا الوقوف عند توظيف المفارقة في شعره مطبقين عملنا على واحد من دواوينه وهو ديوان (لا بد من لا بد) ... ولغايات اجرائية دراسية ارتأينا ان يتضمن البحث :-

١ - مفارقة العنوان :

ورد في معاجم اللغة (عَنَ الشيءَ يَعِنُّ وَيَعُنُّ عَنَّا وَعُونًا ظهر امامك وَعَنَ الكتابَ يَعُنُّه عَنَّا وَعَنَّهُ كعنوانه ،وعنوانته وعلونته بمعنى واحد ... ويقال للرجل الذي يعرض ولا يصرح قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجة ، ...) (١١)

فالعنوان في اللغة يدل على الظهور والايضاح والبيان وكشف الغموض، وهذا ما تكشفه لنا مادة اخرى في المعجم (عنيت بالقول كذا : وقال ابن سيده : العنوان ، العلوان : سمة الكتاب ، وعنوانه عنونة وعنوانا وعناه كلامهما : سمة العنوان) (١٢) وهذا الامر يشير الى قصيدة الكتاب في اختيار عناواتهم وابتعادهم عن الاعباطية والملا مقصدية .

ولا يسعى البحث للخوض في تفاصيل تاريخ العنوان وظهوره وبدء الاهتمام به في الدراسات النقدية لكننا لابد ان تشير الى ان العنوان في النص الادبي الحديث اضحى (نقطة التقاطع الاستراتيجية التي يعبر منها النص الى العالم والعالم الى النص فتنتقي الحدود الفاصلة بينهما ويحتاج كل منهما الى الاخر ... وبهذا نصل الى ان العنوان صاحب السلطة بوصفه رسالة لغوية تعلق النص لتسمه وتحدده فتصبح نصا اخر يغري القارئ ويحمله على مغامرة القراءة والتأويل) (١٣) ولعل من ابرز وظائف العنوان فضلا على التعيين والوصف والايحاء الوظيفية الاغرائية التي تجعل من العنوان الجيد سمسارا لكتاب، وتلك الوظيفة التي تتمركز حول اثاره او فتح شهية القارئ كما يقول بارت من خلال استمالته الى قراءة النص وتحفيز غريزة القراءة لديه (١٤) فالنص الجيد يغري القارئ بتتبعه والبحث عن جماليته لما يثيره في ذهنه من احتمالات تأويلية متعددة .

ان عنوان الديوان موضوع دراستنا عنواناً اشكالي قائم على مناورة واضحة منذ انشطار العنوان الى دالين متكررين غير من دلالتهما توسط حرف الجر بينهما فلفظة (لا بدّ) المكونة من لا النافية للجنس واسمها وخبرها المحذوف ثم تكرارها بعد حرف الجر تحيل الى تأويلات متعددة تفتح النص على فضاءات عديدة ، ولعل بنية المفارقة كائنة عبر ورود (لا بدّ) في فاتحة العنوان التي تحيل الذهن الى حتمية حدوث الشيء المحتوم الذي لا بدّ منه هو (لا بدّ) ذاتها . وهنا تتبجس بنية المفارقة ، فالمفارقة كما هو معروف لعبة ماهرة ذكية قائمة على تأويل متعدد وتحتاج الى متلق فطن يستطيع سبر اغوارها ووظيفتها الاساس هي اثاره دهشة المتلقي وهي من ارقى انواع النشاط العقلي .

ان عنوان الشاعر عبد الوهاب اسماعيل يحيل الى حالة ذهنية قائمة على توقع حدوث شيء بحتمية لكنه لا يعرف ما هو هذا الشيء او يتعمد اخفائه فالمفارقة على حد قول نبيلة ابراهيم قد تكون (سلاحا للهجوم الساخر ، وقد تكون اشبه بستار رقيق يشف عن ما وراءه من هزيمة الانسان وربما ادارت المفارقة ظهرها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسا على عقب) (١٥) .

لقد نجح اسماعيل في حرف مسار اللعبة اللغوية باتقان والمراوغة في التصريح بما يود قوله ، فالشيء الذي لا بد منه اضحى محيرا لا يعرف كُنْهه ولقد ادى الدال مدلولات مغايرة لمعناه المعجمي منزاحا الى دلالات سياقية اخرى جعلت الرسالة المنطلقة من العنوان الى المتلقي رسالة غامضة تحتمل تعدد التأويل وتعدد المعنى وبذلك تكون بنية المفارقة في العنوان قد ادت دورها المطلوب بإتقان .

٢ - المفارقة التناسية :-

ارتبط مفهوم التناس بالدراسات النقدية المعاصرة باسم الناقدة (جوليا كريستيفا) التي اخذته عن استاذها (باختين) الذي لم يسم التناس وان تحدث عنه ، ولقد رأت كريستيفا ان النص قطعة فسيفاء تلغي الحدود بين النصوص او هو عبارة عن ملكية عامة يستطيع اي شخص ان يستقطع فيه ما يشاء فلا يعود للأبوة النصية^(١٦) ، لكن هذا لا يعني ان المبدع وهو يتناص مع نصوص سابقة يسعى لحيائها او النهوض بها بل يعني انه يريد ان يعبر عن واقعه عبر بثه على وفق واقع قديم لان النصوص تتعرض لنقل دائم من سياقاتها الاصلية الى سياقات جديدة مبتكرة اذ ليس ثمة حدود بين النص مما يجعل من النصوص بنية مفتوحة ومتحركة ومتجددة في ان واحد^(١٧) وتتولد المفارقة من خلال العلاقة بين الدلالة الاساسية للنص المتناص معه والمدلول الجديد الذي اكتسبه في سياق جديد وبذلك يصبح المبدع صانعا للمفارقة يعمد الى ما هو سائد فيعزّيه ويكسوه ثوبا جديدا

يقول الشاعر عبد الوهاب اسماعيل:-

فلمن نحن لمن ؟

هذه الخضراء والماء

دوار العشق والعاشق

والندمان والوجه الحسن

.....

اضلع الغربة شاخت

يا عراق المبتلى والممتحن

انت من ورطنا بالحب ... اسمانا له جندا

واسمينا حناياك وطن^(١٨)

ان الشاعر هنا يتناص مع قول ينسب للشاعر شمس الدين بن العفيف التلمساني وهو يقول :-

ثلاثة تذهب بالمرء الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن

لقد جاءت بنية المفارقة عبر خيبة امل المتلقي الناجمة عن خيبة امل الشاعر فاذا كان النص القديم يرى ان الهموم والغموم تتجلى عند رؤية هذا الثالوث (الماء ، والخضراء ، والوجه الحسن) فان التوظيف المعاصر لدى اسماعيل يجعل من هذه الثلاثة لا مجدية ولا قيمة لها متسائلا لمن هذا الجمال ، بل لمن نحن كلنا وقد اشأختنا الغربية واصبحنا نبحث عن بقايا وطن كانت ورطنتنا الكبرى انا تربينا على حبه . انها مفارقة مريرة حيث يصبح هذا الجمال كله لامجديا وغير ذي قيمة ويقول ايضا :-

ليت الفتى حجر

وليت العمر سال مع الغرائب

قبل ان تعدو به هذي المبالز وانتحر (١٩)

ان النص يتناص مع قول تميم بن مقبل :

ما اطيب العيش لو ان الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملوم (٢٠)

ومن الجدير بالذكر ان العديد من الشعراء المعاصرين تناص مع تميم بن مقبل ومنهم محمود درويش في قصيدته (موسيقى عربية) و د. بشرى البستاني في قصيدتها موسيقى عراقية (٢١) واذا كان تميم بن مقبل لا يريد ان تغير الحوادث ما حوله من اماكن بل يريد ان يظل شامخا لا يتغير كالحجارة الصلدة الصماء ، خالدا على مرور الاجيال بلا مبالاة فان عبدالوهاب اسماعيل يقلب الامر ليرى ان الحوادث ليست الا من صنع البشر واخطائهم ولذلك يتمنى ان يكون عمره قد مضى وانتهى ولم يبق منه شيء قبل ان يرى ما حل بوطنه وقبل ان يرى ما جرى حوله من ماس ومحن لا مفر منها ولا مهرب .

لقد ادى التناص دوره في لعبة المفارقة فقد انبجست المفارقة من رحم التناص لتخلق تعالقا نصيا جديدا قائما على مفارقة مؤلمة جعلت المتلقي يشعر بمرارة . وهكذا يمكن القول ان تجلي المفارقة التناصية في نصوص عبد الوهاب اكسبها بعدا تأويليا متعدد اغنى النص وزاده جمالا وشعرية

٣ - المفارقة اللفظية :-

يقصد بالمفارقة اللفظية (نمط كلامي او طريقة من طرائق التعبير يكون المعنى المقصود فيها مخالفا للمعنى الظاهر وينشأ هذا النمط من كون الدال يؤدي مدلولين نقيضين الاول مدلول حرفي ظاهر والثاني مدلول سياقي خفي) (٢٢)، من هنا ندرك ان المفارقة اللفظية لعبة لغوية متقنة تعتمد على (تغير مجال الاستعمال اللفظي الى الضد تهكما بمعنى انتقال اللفظ من حقله الدلالي المعروف له في اصل الاستخدام الى حقل دلالي اخر ، بحيث يقيم مع لفظ اخر داخل الاستعمال اللغوي الخاص علاقة دلالية جديدة من نوع التضاد او التخالف لغاية انتقادية ..) (٢٣)

يقول الشاعر :

يلمنا السؤال ثم يمضي قبل ان ينتظر الجواب

تتناثر الفاعل والمفعول

في مجاهل الفتحة والضمة

واستعصى دم العرب على الاعراب (٢٤)

يرى (ميويك) ان المفارقة اللفظية تقوم على تناقض بين المعاني الحرفية للكلمات وما يصدر عن منتجها ، فتكون المفارقة اللفظية فاعلة حين يستطيع المتلقي (النفاذ من الحدث اللغوي او اللفظي الى حدث المغزى ، او من القول الى مقصد القائل) (٢٥) . ولو نظرنا مليا الى النص لوجدنا ان المتلقي يبدو له عند قراءته الاولى للنص ان الفاعل والمفعول هما البابان النحويان المعروفان في دراسة النحو العربي ، لكن الشاعر يراوغ فكر المتلقي فهو يقصد الفاعل المحرك للأحداث والمتلقي السلبي في عصرنا الذي اضحى فيه الفاعل المحرك للأحداث عاجز عن اداء مهمته لذلك وظف الشاعر مصطلحات (الفاعل ، المفعول ، الضمة ، الفتحة) في غير معانيها الاصطلاحية ليصل الى ذروة المفارقة بقوله (واستعصى دم العرب على الاعراب) فالشاعر هنا يقصد بالأعراب التعبير عن المعنى اللغوي ذلك ان الاعراب في اللغة بمعنى الابانة والايضاح ، يقال اعرب عن لسانه وعرب أي ابان وافصح ، واعرب عن الرجل بين ما يريد قوله ، وانما سمي الاعراب اعرابا لتبيينه وايضاحه ،ويقال اعرب عن ما في ضميرك أي ابن (٢٦) فالشاعر هنا يوظف المفارقة اللفظية الموهمة باختيار مفردات النحو العربي ليشير الى عجز العرب المعاصرين عن الاعراب عن مآسيهم ، حين اصبح دمهم مضاعا لا قيمة له وهنا تجلت قيمة المفارقة اللفظية التي تقول شيئا وتقصد شيئا اخر وهذه هي لعبة المفارقة .

٤ - المفارقة الدرامية :-

ترتبط المفارقة الدرامية بالمرح اذا ارتبط تشوئها بالمرح اليوناني ثم انتقلت منه الى الفنون الاخرى - ومنها الشعر - بفعل تداخل الفنون الذي شهده عصرنا ، وتعتمد المفارقة الدرامية في تكوينها على علاقة المغايرة بين ما تفهمه الشخصية الواقع عليها فعل المفارقة (وتبدو المفارقة الدرامية بالغة الاثر حينما لا يكون الجمهور / المتلقي فحسب ، بل المراقب / الشاعر كذلك على علم واضح بغيب الحقيقة عن الضحية فالمراقب يتظاهر بالجهل في اخفاء متعمد من اجل تعرية الضحية وفضح ما تقوم به من تناقض بين الحقيقة وخلافها (٢٧)

وكما اشرنا ان المفارقة الدرامية يمكن ان تحدث في أي شكل ادبي او فني شرط ان تحقق الفعل الدرامي ، وهناك مستويان لحدوث المفارقة الدرامية الاول تكون جميع الشخصيات منخرطة في الموقف

المفارق او المشاهد وهو الوحيد الذي يدرك المفارقة ، والمستوى الثاني وهو الاكثر تأثيرا عندما تقع المفارقة الدرامية ويشاطر ادراكها المشاهد مع احدى الشخصيات (٢٨) . وقد اطلق على المفارقة الدرامية اسم مفارقة (سوفوكليس) ويرى (كونوب ثرول) ان المفارقة الدرامية تتجسد عندما نرى شخصية تتصرف بطريقة تتصف بالجهل بحقيقة ما يدور حولها من امور (٢٩)

ضم ديوان (لابد من لابد) عددا من المفارقات الدرامية الواضحة منها قوله :-

ارأيتم وطننا يشخب حتى قدميه

ويكظم دون كلام

ارأيتم جرحا اسود

اسود من لون البترول

واسود من حقد البترول

واسود من وجه العار الاسود

ارأيتم كيف تجف الصفحات

وترفع عنها الاقلام

فمتى تنطق مدخنة العصر المكسور

وارصفة الحب المغدور

وافئدة العشاق الايتام (٣٠)

تتبنى مفارقة النص على الحديث عن الوطن الممتلئ بالخيرات ولعل في مقدمة تلك الخيرات النفط (الذهب الاسود) الذي اضحى نقمة لا نعمة ، فالذهب الاسود وهو النفط الذي يعد المصدر الاول لاقتصاد العراق اضحى حظ العراقيين الاسود ، فلم يجلب لهم سوى الامراض الناجمة عن احتراقه في الفضاء ، والحقد الاسود الذي اثار اطماع أفاقي الارض وحقدهم من مستعمرين ودواعش وسواهم واضحى عارا اسود يلاحق بعض أنظمة العرب اذ لم يجن اصحاب هذه الثورة وعشاق الوطن سوى اليتيم والدمار وهنا تصل المفارقة ذروتها ، وقد عزز الشاعر هذه المفارقة بمفارقة لونية ناجمة عن تكرار لفظة الاسود التي وردت في المقطع الشعري خمس مرات فضلا عن كلمات اخرى توحى بالسواد (دخان ، ارصفة) وقد افاد الشاعر هنا ايضا من التناص في قوله (تجف الصفحات وترفع عنها الاقلام) فهذا النص مأخوذ من قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه : قال كنت خلف رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يوما فقال : (يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان

ينفعوك بشيء لن ينفعوك بشيء الا قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لن يضروك بشيء الا قد كتبه الله لك رفعت الاقلام وجفت الصحف) (٣١)

فلقد اضى التناسل قوة على بنية المفارقة الدرامية اذ انه عزز الايحاء بان ابناء الوطن العربي قد استسلموا لواقعهم المرير وكأنه قدر مقدر عليهم لا مفر منه ولا مناص .

ان بنية المفارقة الدرامية في النص الشعري السابق بنت شعريتها على ما يعرف بالنقد بالكوميديا السوداء ذلك ان جمهور الناس في الوطن العربي لا يدرك انه ضحية وان ثروتهم صارت وبالاً عليهم ، ولقد ادت المفارقة هنا دورها في كسر المسلمات والثوابت فالمفارقة في الشعر تعتمد على تشكيل خاص يفجر في اللغة الشعرية طاقاتها الكامنة من اجل التوصل الى تشكيل يواجه الضرورة في الواقع ويكشف عن زيف كثير من مسلمات هذا الواقع ، والمفارقة هنا تهدف الى هدم الثوابت والاشتغال على اللامتوقع والجمع بين المتضادات مما يعمل على توليد المفارقة (٣٢) التي تستفز المتلقي والتي تعمل على تغيير قناعاته .

٥ - مفارقة تبادل الادوار :-

تقوم مفارقة تبادل الادوار على قيام شخص بدور مناقض ومغاير لما هو مألوف له في الطبيعة ، ففي لحظة يشعر المتلقي بتبادل الادوار بين شخصو المفارقة وفي لحظة يصبح البطل ضحية والضحية بطلاً ، فتقلب الصورة في ذهن المتلقي (٣٣) وتتفعل المفارقة من خلال زحزحة الاشياء عن ما هو متعارف عليه وبذلك يتم خلق المفارقة القائمة على عنصر التناسل .

يقول عبدالوهاب اسماعيل :

لماذا يسود السكون

اذا حرك الخوف اقدامه

وتنام شقوق الزقاق (٣٤)

يلجأ الشاعر هنا الى خلق مفارقة قائمة على اثاره الدهشة المتولدة من قلب الادوار ومباينة المؤلف في الدوال المؤسسة للكون الشعري فالخوف هو الذي يحرك اقدامه هاربا في حين ان المؤلف ان يكون الخوف مصدرا لهروب الاخرين وهنا تتجلى المفارقة فالخوف لم يعد مخيفا بل صار خائفا ، كما تتجلى لعبة المفارقة بالجمع بين السكون والحركة اذ يسود السكون عند تحرك الخوف والجمع بينهما بحد ذاته مفارقة اضافت بعدا دلاليا اخر لمفارقة خوف الخوف التي اتقن الشاعر جلاءها عبر تبادل الادوار ولم تكن بنية القصيدة مؤثرة في المتلقي لولا تبادل الادوار هذا، ويقول :-

سندور اسباطا وتاكلنا الذئاب

ونحن نلعب

في سبات الداجيات المقبلة

لا المن لا السلوى

ولا الوادي المقدس يقصر البلوى

ولا حتى قيامات التواصل

والوصايا المنزلة (٣٥)

قلنا ان الشاعر عبدالوهاب اسماعيل شاعر مهووس بالتراث مسكون بثقافة دينية اسلامية عربية ، لذلك يجعل شعره حافلا بمعاني التناسل التراثية وهو هنا يقلب الادوار فاذا كان النص القرآني في سورة يوسف يشير الى الاكذوبة التي أصطنعها اخوة يوسف عليه السلام بادعائهم ان الذئب قد اكله فان الشاعر يجعل الذئب يأكلهم على الحقيقة، ويقلب دور الذئب الذي كان بريئا في القصص القرآني لكنه هنا يأكل على الحقيقة والمقصود هنا الذئب البشرية من المستعمرين الذين يأكلون البلد وخيراتهم ، واذا كان المن والسلوى نعمة انزلها الله على قوم عيسى عليه السلام اكراما لدعاء النبي فانه هنا انقلب الى بلوى بل حتى الوادي المقدس لم يعد كما كان بعد ان تغيرت معالم الناس وانقلبت الادوار اذ تغير كل شيء في هذا المجتمع الذي تنكر لمقدساته .

لقد كانت بنية المفارقة قائمة على كسر افق التوقع وقلب الدلالات وتغيير وجهتها فلم تعد الامور كما كانت بل اضحى كل شيء مغايرا لأصله متغيرا عما كان عليه .

٦- المفارقة اللونية :-

يعد اللون جزءا اساسيا في بنية الصورة الشعرية اذ لا تتجلى جماليات الصورة الشعرية الا عبر تشكيلها اللوني ، ولم يكتف الشعر بالاعتماد على واقعية اللون بل انتقل الى رمزيته واللون الذي يمثل لغة بصريّة في فن الرسم لكنه يتحول الى (دال حين يوضع ضمن سياق لغوي وبهذا يمتلك دلالة في اطار بناء الجملة الشعرية) (٣٦) مما قاد الى تكون ما يعرف بشعرية اللون ، ذلك ان (الالوان في القصيدة قد تحمل اشارات سمبولوجية مما يحولها للرمزية لان الالوان تعطينا احساسات غامضة وعلى ذلك فلا يمكننا استخدامها منطقيا بل نضطر الى توظيفها رمزيا) (٣٧) فلكل لون دلالاته ، بل تختلف دلالات الالوان احيانا بحسب اختلاف ثقافات الشعوب واعتقاداتها . يقول عبد الوهاب اسماعيل:-

لشواطئ تحفل بالأحمر والاخضر

والطالع بينهما بمراهقة الصبح المنداح

بالعشق الخافق

والموج العابق خلف وشاية ايقاع القداح

حفل بساتين لموسيقى العشاق الوردية

حبل غسل يختزل الشمس بهمس صبي لصبية

ووكاحات الحمرة في خجل العطر

وهبت ريح تعبق او تشرق

لو جار الحر على خد التفاح (٣٨)

ينطلق الشاعر هنا من مفارقة لونية تفاجئ المتلقي وتثير دهشته عبر التلاعب بالألوان فالشاطيء عادة لا يحمل الا لون الرمال الباهتة لكن الشاعر يجعل الشاطيء حافلا بالألوان الدالة على الفرح ، وقد اختار ذكر اللون الاحمر والاخضر بأسمائهما الصريحة ، والاحمر لون ساخن وقد عده العرب لون الحياة ورمزا للصحة والعافية والخضاب اما الاخضر فهو لون الخصب والخضرة والنماء والحقول ، كما ارتبط بالجنة والنعيم ومن ذلك قوله تعالى في وصف لباس اهل الجنة (عليهم ثياب سندس خضر وأستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) الإنسان: ٢١، ثم ذكر الوانا اخرى غير الالوان السابقة ولكن بصورة غير مباشرة (لون الشمس ، وكاحات الحمرة ، خجل العطر ، خد التفاح)

ان المفارقة اللونية قائمة في النص عبر توظيف هذه الالوان لإثارة دهشة المتلقي ، فالشاعر لم يتحدث مباشرة عن صبايا جميلات يرتدين ملابس البحر ويسبحن على الشاطيء لكنه ذكر تلك الالوان ليشير لذلك والمفارقة ان المتلقي يوهم باستخدام الصورة اعلاه (صورة الصبايا اللواتي يسبحن على الشاطيء) غير انه بالتأكيد لا يقصد ذلك فسياق القصيدة يوحي بالجانب السير ذاتي فهو اذا يتحدث عن بعض اللقاءات العاطفية على شواطئ دجلة في الموصل يستعيد ذكرياته الشخصية ايام الشباب والحب واللقاءات على شواطئ دجلة فكانت بنية المفارقة تتجسد في التعمية على المقصود من جهة والمفارقة اللونية التي جمعت الوانا متعددة في سياق واحد ، كما عزز ذلك بالتناقض بين سكون البحر وهدوئه وصخب الحركة وتأجج العاطفة على شطآنه الضاحجة بالحياة . ولعل الشاعر باستخدامه هذه الالوان واستنارته لعنصر المفارقة يسعى لبناء قصيدة لونية توحى بالشباب وبخاصة انه كتبها وهو قد تجاوز السبعين مستعيدا ذكريات الشباب وهي مفارقة اخرى

٧- المفارقة السقراطية :-

تقوم المفارقة السقراطية على مبدأ الحوار المفترض وقد كان سقراط يدعو الى الانفلات من ريقه المدركات والمواضعات ، وتقوم على طريقة معينة في المحاوره يستدرج شخص عن طريقها شخصا اخر حتى يصل الى الاعتراف بجهله ويوصف ارسطو بانه صانع المفارقة الاول (٣٩) ، اذ كان يعتمد التظاهر بالسذاجة وتعتمد المفارقة السقراطية على استفزاز الطرف الاخر من خلال الحوار والجدل المتبادل

الموصل الى شيء يتعلم منه ، ومن المعروف ان المفارقة السقراطية كانت تظهر بكثرة في الاعمال الحجاجية والنصوص النثرية لكن الشعر الحديث استفاد من تقانات السرد وظهرت القصائد السردية او ذات الطابع الدرامي السردية فكثرت المفارقة السقراطية فيها . وقد اشار الدارسون حتى اضحى ذلك مسلما ان المفارقة السقراطية تكثر في النصوص الشعرية التي تحمل طابعا سرديا او تقوم على الحوار بين شخصيتين او اكثر

ولو تأملنا نصوص هذا الديوان لوجدنا بعض القصائد التي اعتمدت تقانات الحوار السردية في بنيتها وافادت من المفارقة منها قوله :-

- هي ؟

(قلبي طائر فزّ)

.....

.. ولا

- بل هي .. (واحترت)

فاين الزهرة اليوم واين المشتري ؟ ...

.....

- هي ؟.....

- لا

- بل هي

- لا (فزت وفرت من حنين الاربعةين) .

- وانا ؟

- لا ما انا

- بل انت يا طوف السنين

- وانا اقبل اعذارك

في السوق وقفنا طائعين

لنبيع الصمت ذكرى ...

- هل نعيد العمر ؟

- لا نملكه ..

- هل نشترى ؟ ..

ان النص الذي اثرنا ان ننقله على الرغم من طوله هو جزء من قصيدة سماها الشاعر (لقاء) وقدم لها بقوله (بعد مرور اربعين عاما على اخر لقاء .. ها هي الان امامي وسط زحام الطريق .. كدتُ ان اضيَع ملامحها واوشكت ان تتوهمني) ويلاحظ ان الشاعر من خلال التقديم وهو كما معروف من العتبات النصية اراد ان يوجه المتلقي الى طبيعة موضوع القصيدة الذي يدور حول لقاء الشاعر مع فتاة ربطته بها علاقة سابقة ، فقد اشار قبل هذا النص الذي استشهدنا به ان روحه طارت من مكانها عند رؤيتها ثم انتقل الى تجسيد ذلك عبر استخدام تقنية الحوار الداخلي او ما يعرف (المونولوج) اذ ان الشاعر تعمد وضع علامة (مقول القول -) في بداية جملة الشعرية ليؤكد ان النص حوارى سردي قائم على التردد والمغالطة وهي من اسس المفارقة السقراطية ، فقد انتقل من التشكيك بدقة رؤيته (هي لا بل هي لا) الى التشكيك بذاته (وانا لا ما انا) وبنية المفارقة بأكملها قائمة على هذا التشكيك وهو ليس تشكيكا حقيقيا ، بل استخدم التشكيك لجر القارئ الى ما يريد وهو خداعه واقناعه بشك الشاعر بنفسه وبها ، وبخاصة ان لقاءه بها جاء بعد اربعين عاما من الفراق فقد تغيرت ملامحها بالتأكيد واخذ منها العمر مأخذه لكن المفارقة تجسدت في انه لم يستطع اقناع نفسه بنسيانها فكيف له ان يقنع متلقيه بذلك ، ولقد كان الشك السقراطي اساسا في بنية القصيدة بأكملها اذ انه ينهي القصيدة بقوله :

وتسمرنا واعيانا الكلام

سوف تمضين وامضي وعلى الدنيا السلام

فكان الشاعر يريد القول انه لم ولن يستطيع نسيانها وان مضيها عن بعضها يعني نهاية الدنيا بالنسبة لهما كليهما . ولعل من المهم القول ان الشاعر استدرج المتلقي ليوحى له ان الشاعر والسيدة لم يعرفا بعضهما وتتاسيا ماضيها ، واستمر في استدرجها بطريقة متقنة ، ليفاجئها في النهاية بانه لن يستطيع نسيانها ولن تستطيع نسيانه وهنا بلغت المفارقة ذروتها .

٨ - مفارقة السخرية :-

تعد السخرية من مظاهر الادب التي تعتمد على المهارة والذكاء وتعتمد التهكم بطريقة ذكية تهاجم بصورة غير مباشرة وقد انتشرت السخرية في الادب عبر عصوره كافة وعدّ دارسوا المفارقة السخرية مظهرا مهما من مظاهر المفارقة ، والسخرية تستخدم استخدامات متعددة لكن الذي يهمننا هو سخرية المفارقة التي تتم حين يلجا صاحب النص الى توظيف السخرية لبناء مفارقة قائمة على تلك السخرية ومن الجدير بالذكر ان تلك المفارقة تستمد شعريتها من كون الشاعر يحول المأساوي الى مضحك بطريقة ساخرة فيعزز بنية المفارقة . فالمفارقة على حد تعبير سيزا قاسم قول نقدي ساخر يتولد عن التوتر الحاد ويقوم على

التناقض بين المعنى السطحي والمعنى العميق^(٤٠) ، فتتولد المفارقة من رحم السخرية التي تحتاج الى كد ذهني وتامل عميق بغية الوصول الى المعنى الذي يرومه المبدع . فتبدو ملمحا من ملامح الشعرية المعاصرة . يقول عبدالوهاب اسماعيل في قصيدته (محطة حياة) :-
مرت قبل السبعين ..

حزمة اصفار

يحسبها الناس عليك سنين

يصحبها خطان (/ /)

يميلان عليك كحز السكين^(٤١)

لقد بنى الشاعر المفارقة على سخرية مرة فالشاعر هنا لا يسخر من احد بل يسخر من ذاته وقد كتب هذه القصيدة بمناسبة ذكرى ميلاده وكتب تحت عنوانها (٢٠١٨/١١/٦ ميلادي في الحاضر) (١٩٤٥/١١/٦ ميلادي في الماضي) (٧٣/٠٠/٠ عبد الوهاب اسماعيل) ، فالشاعر هنا طرح سنة ميلاده من سنة كتابة القصيدة ليذكر ان عمره قد بلغ حينها الثالثة والسبعين على وفق حساب الناس وحساب التاريخ ، لكنه يرى ان تلك النيف وسبعين عاما لم تكُ الا حزمة اصفار يحسبها الناس سنين ، وهنا تتجلى لنا بوضوح شعرية المفارقة القائمة على سخرية مرة ليست من الذات فحسب بل من الواقع المرير الذي عاشته احيال متتابعة لم ترى من حياتها الا سنوات مرت بعذاب والم لم تشعر بها ولم تعش لذاتها ، فكانت سخرية الشاعر من ذاته هي سخرية من المجموع ومفارقة تجمع بين الضحك والبكاء للذين امتزجا في حياتنا حتى لم يعد بإمكاننا التفريق بينهما .

لقد جسدت المفارقة ملمحا فنيا شديد الوضوح في هذا الديوان وهذا ما دفعنا لمحاولة دراستها بصورة مختصرة اكتفت باختيار نموذج او نموذجين من كل نوع من انواع المفارقة في الديوان ، ف شعر الشاعر مكتنز بالمعطيات الفنية بانواعها التي تحتاج الة دراسات متعددة وهذا ما سنحاوله في قابل ايامنا ان شاء الله .

الهوامش:

١ - لسان العرب : مادة (فرق) ١٠ / ٢٩٩ .

٢ - المفارقة وصفاتها : ٢٣

٣ - نقلا عن المفارقة والادب : ١٤٠

٤ - فن القصة في النظرية والتطبيق : ٧٢ .

٥ - المفارقة في الادب : ٢٢ .

- ٦-المفارقة ١٣٢ .
- ٧ - المفارقة في القص العربي المعاصر : سيزا قاسم ، مجلة فصول ، مج ٢ ، ع ٢٤٣ ، ١٩٨٢ : ١٤٣
- ٨ - المفارقة في شعر الرواد : ٦٣
- ٩ - ينظر ديوان عبد الوهاب اسماعيل ١ / ٦٠٣
- ١٠ - نفسه : ١ / ٦٠٩ .
- ١١ - لسان العرب : مادة (عنا)
- ١٢ - نفسه : مادة (عنن)
- ١٣ - عنونة الكتب النقدية عند حاتم الصكر : ١٢ .
- ١٤ - ينظر عتبات جبرار جنيت / ٨٧ - ٨٨
- ١٥ - المفارقة الروائية الزمن التاريخي ، فصول مج ١ ، ع ٤ ، ١٩٩٣ : ١٤٣
- ١٦ - ينظر شعرية السرد في شعر احمد مطر : ١٦٧ .
- ١٧ - النص الغائب تجليات التناس في الشعر العربي : ٣ .
- ١٨ - ديوان عبد الوهاب اسماعيل ٥٩٩ - ٦٠٠ .
- ١٩ - ديوان عبد الوهاب اسماعيل : ٥٩ .
- ٢٠ - ديوان ابن مقبل : ٢٧٣ .
- ٢١- للتفصيل في ذلك ينظر قصيدة موسيقى عراقية مقارنة ايقاعية : أ . د . محمد جواد حبيب البدراني مجلة تكريت للعلوم الانسانية م / ١٧ ، ع ٣ ، اذار ٢٠١٠ مص ٢٧ وما بعدها ، وينظر بين سلطة الايقاع وبوح الدلالة : ١١٩ وما بعدها
- ٢٢ - المفارقة في رواية نجيب محفوظ : ١٨٤ .
- ٢٣ - المفارقة القرآنية : ٧٣ .
- ٢٤ - ديوان عبد الوهاب اسماعيل : ١ / ٥٢١ .
- ٢٥ - المفارقة وصفاتها : ٦٤
- ٢٦ - لسان العرب مادة : عرب
- ٢٧ - ينظر المفارقة : ٩٣ وكذلك المفارقة في شعر ابي نؤاس : كزار عبد الاله الابراهيمي ، رسالة ماجستير ، جامعة المثنى ، ٢٠١٧م ص : ٧٩
- ٢٨ - ينظر المفارقة الدرامية في النص المسرحي الاردني : عدنان علي المشاقبة ، المجلة الاردنية للفنون ، م ٩ ، ع ٢ ، ٢٠١٦ : ١٤٠ - ١٤١ .
- ٢٩ - ينظر المفارقة بنية الاختلاف الكبرى ، د. سناء هادي عباس ، مجلة كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، ع ٤٦ ، ٢٠٠٦ : ٩٨ .
- ٣٠ - ديوان عبد الوهاب اسماعيل ١ / ٥٣٦ .

- ٣١ - صحيح البخاري : ٤٦٨٦ .
- ٣٢ - ينظر المفارقة المصطلح والمفاهيم : د. شريف عبيدي ، مجلة جيل للعلوم الانسانية والاجتماعية ، ع ٥٣ ، ٩٩ وما بعدها
- ٣٣ - ينظر التحليق في فضاءات النص : ١٦ وما بعدها
- ٣٤ - ديوان عبد الوهاب اسماعيل / ١ / ٥٦٩ .
- ٣٥ - ديوان عبد الوهاب اسماعيل / ١ / ٥٨٨ - ٥٨٩
- ٣٦ - جماليات اللون في شعر زهير ، موسى ربايقة ، مجلة جرش للبحوث الاسلامية ، مج ٢ ، ع ٢ ، لسنة ١٩٩٨ : ١١ .
- ٣٧ - جماليات اللون في القصيدة العربية : محمد حافظ دياب ، مجلة فصول ، مج ٥ ، ع ٢ ، ١٩٨٥ : ٤١ .
- ٣٨ - ديوان عبد الوهاب اسماعيل : ١ / ٥٧٨ - ٥٧٩
- ٣٩ - المفارقة في النثر العباسي : أ. د صالح بن عبدالله الخضير ، مجلة جامعة ام القرى لعلوم اللغات وادابها ، ع ٩ ، لسنة ٢٠١٢م : ٢٦٩ .
- ٤٠ - المفارقة في القص العربي : مجلة فصول ، مج ٢ ، ع ٢٤٣ ، ١٩٨٢م : ١٤٣ - ١٤٤ .
- ٤١ - ديوان عبد الوهاب اسماعيل / ١ / ٥٩٧ .

قائمة المصادر والمراجع:

- ١- التحليق في فضاءات النص:أ.د. محمد جواد حبيب البدراني ، دار دجلة ، عمان ، ٢٠١٤ .
- ٢- جماليات اللون في شعر زهير:موسى ربايقة، مجلة جامعة جرش للبحوث والدراسات ، مج ٢ ، ع ٢ ،
- ٣- جماليات اللون في القصيدة العربية المعاصرة : محمد حافظ دياب ، مجلة فصول ، مج ٥ ، ع ٢ ، ١٩٨٥ .
- ٤- ديوان ابن مقبل: تحقيق د. عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت ، ١٩٩٥
- ٥- ديوان عبد الوهاب اسماعيل : عبد الوهاب اسماعيل ، نينوى ، ٢٠١٩
- ٦- شعرية السرد في شعر احمد مطر : عبد الكريم السعيد ، دار السياح ، لندن ، ٢٠٠٩
- ٧- صحيح البخاري : ابو عبدالله البخاري ، دار ابن كثير ، د.ت .
- ٨- عتبات جيران جنيت من النص الى المناص : عبدالحق بلعابد ، المغرب ، ٢٠٠٨ .
- ٩- عنوانة الكتب النقدية عند حاتم الصكر: زهراء خالد الحديدي ، دار غيداء ، عمان ، الاردن ، ٢٠١٧
- ١٠- فن القصة في النظرية والتطبيق : د . نبيلة ابراهيم ، مكتبة غريب ، القاهرة ، د. ت .
- ١١- قصيدة موسيقى عراقية مقارنة ايقاعية : د. محمد جواد البدراني ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، م ١٧ ، ع ٣ ، اذار ، ٢٠١٠ .

- ١٢- لسان العرب : ابن منظور الافريقي ، ط ٦ ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .
- ١٣- المفارقة بنية الاختلاف الكبرى : د. سناء هادي عباس ، مجلة كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية، ع ٤٦ ، ٢٠٠٦ .
- ١٤- المفارقة الدرامية في النص المسرحي الاردني : عدنان علي المشاقبة ، المجلة الاردنية للفنون ، م ٩ ، ع ٢٤ ، ٢٠١٦ .
- ١٥- المفارقة الروائية الزمن التاريخي ، نبيلة ابراهيم ، مجلة فصول ، مج ١ ، ع ٤ ، ١٩٩٣ .
- ١٦- المفارقة في شعر ابي نؤاس : كزار عبد الاله الابراهيمي ، رسالة ماجستير ، جامعة المثني ، ٢٠١٧ .
- ١٧- المفارقة في شعر الرواد : د . قيس حمزة الخفاجي ، دار الارقم ، بابل ، ٢٠٠٧ .
- ١٨- المفارقة في القص العربي المعاصر : سيزا قاسم ، مجلة فصول ، مج ٢ ، ع ٢٤٣ ، ١٩٨٢ .
- ١٩- المفارقة في النثر العباسي : أ. د. صالح بن عبدالله الخضير ، مجلة جامعة ام القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع ٩ ، ٢٠١٢ .
- ٢٠- المفارقة في النص الروائي : د . حسن عماد ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- ٢١- المفارقة المصطلح والمفاهيم : د. شريف ابيدي ، مجلة جيل للعلوم الانسانية والاجتماعية ، ع ٥٣ ، ٢٠١٨ .
- ٢٢- المفارقة والادب دراسة في النظرية والتطبيق : د. خالد سليمان ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٩
- ٢٣- المفارقة وصفاتها : دي سي ميويك ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٣ .
- ٢٤- النص بين سلطة الايقاع وبوح الدلالة : د. محمد جواد البدراني، دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠١٤ .